



رافعة من زمن التوهج بيون



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي لير

العدد (5514) السنة الحادية
والعشرون - الخميس (21) أيلول 2023

مئوية

تزيهة الدليمي

2023 - 1923

نزِيهة الدليمي والأحلام المغدورة



فخري كريم



عاشت نزِيهة الدليمي، دون ارادة منها، مرحلة تحولات كبرى، جمعت تناقضات عصر ملتبس، مكفوف، متمرد، تداخلت فيه الآمال والخيبات، وبدا أحيانا وهو في صعوده، كما لو انه عصر تصفيات وانتقام! ما ان هل، طاويا قرن الشك والاكتشافات والأفكار العظيمة، القرن التاسع عشر، حتى تناثرت سنواته صعوداً وانحداراً. كالغليان كان ينفث أعاصير تهدد اليقين في الفكر، والعروش في السياسة والاختراعات في العلم، وفي كل الجهات كانت الأنفاس تتقطع وهي تلاحق غير المألوف. وإذا أغرق القرن الجديد نفسه في مواجهات وحروب وثورات، انسلخ العالم، وتفصد إلى عالمين متناقضين، بينهما المسافة التي تفصل بين اليقين والشك، والأمل والخيبة.



عالم يبشر وأخر يتوعد. بشر ينتشرون مثل نعيم في كل الأصقاع، ينتسبون فضاء جنة موعودة على الأرض. تقابلهم ارتال شبحية يستجمعون القوى ويتوعدون بالحريق، كانت سنه ولادة نزِيهة الدليمي على خط التماس بين الوعد والتوعد، بين الشك واليقين، بين الأمل والخيبة. فلم يكن قد مضى وقت طويل على انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، فالحرب الأهلية التي استهدفتها والحصار حولها من كل صوب والاستنزاف بداخلها، كانت كلها قد وهنت وتراخت أطرافها وبدت كما لو انها في حالة استسلام.

لكن شبح المجاعة والأزمات والنذر السوداء كانت تحوم حول العالم، تقارع اليقين بالشك، وتثير هواجس وأمنيات.

ومن فضلات الحرائق ورمادها، وفي زاوية من اقبية البيرة في بافاريا الألمانية، ظهر رجل يزرأ ويترجم ويتهدد العالم حين يمسك بخنقه ويشعل فيه نيران الجحيم. في وقت ما من عام ١٩٢٢ عام ولادة نزِيهة الدليمي الفاصل بين عالمين، كان "عقلاء" تلك المرحلة يستهزئون ويسخرون من صورة مجنون يعربد وهو يحمل صليبا معقوفا، يقدم مشهدا كوميديا عرفوا من صحفهم المحلية ان اسمه هتلر اختار حانة بيرة في بافاريا ليخطب فيها ويهدد العالم منها. وكان ان تحققت نبوءته بعد سنوات وجر العالم الى ابشع جريمة في التاريخ الحديث، حيث ضاعت سخرية "العقلاء" في أنون مكاباتهم، واهامهم

وساذجة تصوراتهم! يومذاك لم تنتبه نزِيهة دون شك لأنها كانت تسبح في فضاء الله تنتظر الانبثاق المبهر، إن زئير حانة البيرة وعريضة صاحبها سرعان ما سيلوع حياة شعبها كما ستعيش تالياً مأسيتها كما شاء لها الحظ، ان لم تكن هي حتى بعد ان كبرت وحنان حراكها قادرة على ان تتصور وطنها نفسه وقد أصبح أسيراً شبيهاً بذاك المعتوه منفرداً مختلاً مثل هتلر طلع عليه من قمامة أزقة التشرد وحقنات الجريمة. قد تكون الذكورة عقدت مقاربة مضمينة بين عام ولادتها في ١٠.٢٩.١٩٢٣ وعام بداية انسلخ الوطن من العراق في ٨ شباط ١٩٦٣!

الأمل والبشارة

شهد عام ١٩٢٣ كما علق في ذاكرتها من حوادث التاريخ، صعود الامل والبشارة، بتقدم انساني في الشرق نحو مشارف عدالة لا تضني من انهكهم الكدح والعطاء، تقيهم من عسف الاستغلال وعتن العبودية الطبقيّة، وتفتح لهم كوة مضيئة في مسيرة البشرية نحو الانعتاق والحرية والمساواة.

كان ذلك الامل يتدفق بقوة المثل والإلهام، من روسيا التي كسر مستعبودوها المستضعفون، رتابة اصطاف بني البشر في ثنائية منتج القيمة وسارقها، وخرافة ابدية العلاقة بينهما باعتبارها نهاية التاريخ.

والمصادفة السعيدة، التي كان لها ان تسم ولادة نزِيهة ايضاً، ويسري في عروقها ويلازم حياتها وهي تتفتح وتتضح، انبثاق بوار الامل، في موطنها، كصدى للأمل الآتي من الشرق البعيد، او كإرهاصات لتلملمات وجدت طريقها الى رط من المثقفين العراقيين، وهم يتابعون بشغف وقلق، ملامح دولتهم الوليدة، والأجنبي هو يتمدد في كنفها، ويقدم نفسه، كفاعل خير وواهب نعمة، يستكشف بواطن الأرض ليتدفق منها الذهب الأسود، يبني السكك الحديدية، ويرسي بنيان صناعات ومعامل وموانئ وتجارة. لكن هذا الأجنبي ان يفعل ذلك، كان يتبدى لهؤلاء المغامرين في دروب الفكر والحرية، مجرد قيم متسلط مستغل، وتتضح لهم معالم دولتهم التي تكونت على خلاف إرادة أهلها، وقد اصبحت منذ ولادتها اسيرة استعباد جديد.

كانت نوى الحركات والرواد الاوائل للوطنية العراقية في طور التكوين: جماعة الصحفية ومؤتمر كربلاء والحلقات الماركسية والتجمعات النقابية، وإرهاصات المنظمات المدنية.

وفي ذلك العام، او ما تلاه من أعوام، خرجت أنبل نساننا وأجرأهن في تحد متفوق على الجهل والتخلف، كاشفات عن إشراقة وجوهن التي لم يخلقها الله الا لتتوحد مع النور والضياء.

لقد اختزل العالم في عام ولادتها، والأعوام التالية، الزمن والمسافات، واخترق ميادين في سائر العلوم، وفي خلايا الدماغ البشري، وفي أعماق النفوس. ورأى الناس معجزات الابتكار والخلق الانساني، وهي تطير، وتخرق الأثير. وعاش الناس زمن الطائرة، والتلفون، والراديو، والسينما، واستكشاف اسرار النجوم السحيقة البعد، واعماق البحار والمحيطات والغابات، وانحسرت مخاوفهم من الأوبئة التي فتكت بهم طيلة قرون.

في سنوات تكون نزِيهة وهي تحبو، كان العراق يزدهر ويزهو بعظماؤه.. شعراء أفذاذ، الرصافي والزهاوي والصافي والخواهري، ورهط لا عد له من المبدعين، كتابا وفنانين وقادة رأي.

كان العراق يومها أسرة واحدة، وإرادة تختزل هموم العراقيين، دون تمييز بين طائفة وعرق ودين وقومية وعقائد وأطياف وتجسد تطلعاتهم، وتعبر عن جسارتهم في المطالبة بالحقوق والأمانى المؤجلة.

لكن عام، ١٩٢٣ لم يرهق ذاكرة نزِيهة، او لم يكن ذلك ممكناً لأنها لم تكن بعد قد رأت النور... بما حمل من نذر سوداء لعالمنا المتخيل.

وتوالت، مشاهد التطور والنمو والرخاء وهي ترافق مع الانهيار الاقتصادي ونهب المستعمرات، والانحدار نحو هاوية الحرب.

جيل الأمل والخيبات

وفي رحم التناقض الذي كان يتفجر، اكتملت قامة نزِيهة الدليمي، وحسمت خيارها، وتلاقت مع تبشير الامل الذي كان يزداد إشعاعه، ويسطع في سماء العالم، كبديل عن الظلم التاريخي، والاستغلال والقهر، والعبودية، والتمييز بين الشعوب والطبقات والأعراف والأديان والألوان والمذاهب والعوامل، عالم الفقراء والمستغلين ومنهوبي الثروات، وعالم التسيد المطلق للأخر المستغل، عالم الشعوب، وعالم المستعبدين، عالم الحكام وعالم المحكومين.

كانت البشرية تغذ سيرها، وفي حمى العمل لتحويل الامل إلى حياة معيشة لا يتهددها النكوص او الانهيار، بات كل واحد منا أسير أوهامه المركبة. لم تكن يومذاك نحن جيل الأمل والخيبات نميز بين تروق الانسان الى الحرية والسعادة، باعتباره حقيقة مطلقة، والطابع النسبي لحركة التقدم نحو الانعتاق الكامل من كل عبودية، فردية كانت ام مجتمعية طبقية. لقد اصبحت هذه "الحقيقة المطلقة" في وعينا المنغلق، وهماً يلغي إرادتنا، وينفي الشك والجدل في فكرنا، وبأسرنا في وحدانية مغلقة على ما نحن فيه من اغتراب عما يدور حولنا، وما ينبغي أن نكون عليه من دراية وحراك.

كل عالم الأمل، الذي يبشرنا بالجنة على الأرض، ويصبح "العامل الحاسم في تطور البشرية" يتأكل من الداخل، ويتهاوى بنيانه بفعل الإيمان الساذج، والاغتراب عن الحياة، وبفعل الترهل في الفكر والممارسة، والعجز عن رؤية الجديد المتناقض في جوهره، مثل كل الأشياء والمكونات، مثل الطبيعة نفسها التي تتجدد بفعل تناقضاتها.

ولم تكن أوهامنا مجرد أضغاث أحلام، او حلم ليلية صيف. فمعجزات الخلق والابتكار في ذاك العصر خرقت كل ما هو مألوف ومقدس سطحي، فها هو الانسان يطوف في مسار وهمي "حول الكرة الارضية" وها هي آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية تتحرر وها هي الثروات تتراكم في عالم الأغنياء لتصبح الأصغار متاهات عصبية على الفهم، وها هي المجاعة والفقر والأوبئة والأمراض الفتاكة تنتشر في مساحات شاسعة في افريقيا وضياع أخرى في العالم.

وتندلق الاختراعات مثل الشلالات... الحاسوب واوتوسترادات المعرفة والاتصالات تزدهر مع اتساع رقعة الأوزون وتقسى الجهل والأمية وازدياد البطالة وإبادة ثروات الطبيعة.

وعلى امتداد العقود الستة من القرن العشرين، تتالت المعجزات والمنجزات، واستمر نهوض البشرية، وتعددت مراهي الأمل، لتجدد أحلامنا بعالم لا ينحدر ولا ينسلخ عن القيم التي أخذت تسمو بالانسان، خالق القيم كلها، عالم تتسيد فيه الشعوب، وتحدد مصائرنا بإرادتها الحرة. يومها كان العراق يغذ السير، ويندفع غير مبال

بالتضحيات، متحصناً بوحدة ارادة الشعب وبالعزم على تقديم نموذج الخالص للتححر والتطور.

أخوة ومصالح مشتركة

لقد شهدت الأربعينيات والخمسينيات، نهضة متوهجة، على كل صعيد، فالحركة الوطنية تكاملت بروافدها، القومية العربية، والكردية، والديموقراطية:

الحزب الوطني الديموقراطي، والاستقلال، والتحرر الوطني، والحزب الشيوعي، والحزب الديموقراطي الكردستاني، وحزب البعث العربي الاشتراكي. وسرعان ما انخرطت كلها في جبهة الاتحاد الوطني، الأداة السياسية الشعبية التي مهدت لنجاح ثورة ١٤ تموز، ١٩٥٨ التي قادتها حركة الضباط الأحرار. وعلى جبهة العلم والفن والثقافة، تفتحت تيارات ومدارس، وجماعات، فانطلقت الحداثة الشعرية، واغتنت الحركة التشكيلية بقيم لونية وخطوط تجديدية، ابتكر الرواد الكبار لها طرائق وأساليب، ارتقت بها وحررتها من التجريب والتقليد، وعمقت أصولها، وشددت ملامح عراقيتها بخطوط وتعوديات التراث والأوان دلالات الحاضر.

وشقت السينما مع "سعيد افندي" رحلة مشاهدة الذات المتوثبة إلى الجديد، وهكذا أضاعت الأنوار، المسارح. واحتشدت الجامعات، التي ضمت جيل الشباب المندفع نحو العلم والعمل الوطني، بأبرز المربين المتتورين التواقين إلى تحصين رجال المستقبل بالمعرفة العلمية، والثقافة الوطنية التقدمية.

وفي المصانع والموانئ والمرافئ والحقول، نهض العمال والفلاحون تجمعهم الأخوة، والمصالح المشتركة، فالفلاح أخو الفلاح، وجليه العامل والمثقف "وردة" على صدورهم، والتحصنت صفوف هؤلاء جميعاً مع الجيش لتصنع معاً ثورة ١٤ تموز. ١٩٥٨ ومع هذه الثورة بدأ شوط دموي، ظل ينفذ حتى اليوم.

الثورة المغدورة

ومعها بدأ الصعود ليمتحن الأمل ثم ليتلاشى، مثل سراب...

فقد كتب على الثورة التي جسدت الأمل واليقين وكادت تبلغ نراها أن تستدير لتأكل أبناءها، ولتتهلك قواها ثم لتهدمها، لكي تدفن في نهاية المطاف في لحظة غدر، تحت أعقاب منتهكي شرف العراق عام ١٩٦٣.

ثم ترنقي الجريمة المنظمة لتستولي على السلطة وتتوحد معها، وتصفى ما تبقى من زمن الانفتاح على الأمل، زمن الرومانسية الثورية!

كان الأمل يتدفق مثل ضياء الفجر، يبشرنا بالجنة على الأرض. وفي دروب التائق البشري هذا، كان الناس لا يهابون التضحية، والموت البطولي، لا الانتصار. وكانت تقاليد التأخي والتعاضد والوحدة، تتجدد في وعي الشعوب عبر القارات، فلا يسقط شهيد في أقاصي الأرض إلا وتتداعى الجموع في اصغر جزيرة، او ريف او حاضرة على امتداد العالم لنصرتة حتى في العراق الممتحن بولائه للإنسان، وفي كل هذه الاصقاع كانت ترتفع شارة الشهيد ويجري التنديد بقتلته وإسقاطهم لإعلاء شأنته. لم يكن احد من جيل الامل، جيل الرومانسية الثورية ذاك، يعرف، وهو يرفع صورة ذلك الشهيد (المجهول) الآتي من ابعد نقطة مجهولة على خارطة العالم، لون بشرته او جنسه او دينه او حزبه... كان يكفي انه شهيد دافع عن مجد بلاده وكرامة شعبه!

ويتراشقون بالآيات الكريمة، ويحرفون معانيها، لتمنحهم حق القتل على الهوية، وتهجير الناس من مرابعهم، والتفريق بينهم، طوائف ومذاهب وأعرافا وعشائر ومشارب.

المناضلة

لقد اجتازت نزيهة كل مراحل الحرية التي كانت هاجسها منذ ريعان صباها. فاندفعت مثل ربيع الحياة في دروبها، مناضلة كرسست عشقها للمثل الحرية والعدالة والمساواة.

وفي دربها الشاق والمتقطع بجواجز الكراهية، كراهية أنظمة الاستبداد والتخلف المتعاقبة، التقت قضية المرأة، قضيتها هي ككينونة مأسورة، وحولتها مع مجايلها إلى حركة ظلت تكرر وتلتحم مع كل القوى الحية في المجتمع لتنتزع بالمعاناة والتضحيات الواعية، حقها في ان تكون حرة الإرادة، متساوية الحقوق، إحدى ضفتي المجتمع بلا أي قيد أو تمييز.

غدت الدليمة وهي في ريعان الشباب مضمخة بعز النضال، وهي شيوعية يقينية الهوى، اجتازت محن الحياة، رمزاً للمرأة وهي تتحدى، لتتحرر وتتساوى، واصبحت في لحظة أمل، أول وزيرة عراقية وعربية تحولت من فرد حر، إلى ظاهرة لتجلي الإرادة الجسورة.

المقاربات المضيئة

كما نحن، لم تتشرب ذاكرة نزيهة الدليمة سوى اللحظات والمقاربات المضيئة التي اقترنت بسنة ولادتها وما تلاها من سنوات وعقود.

وربما يكمن في هذا، سر نشوتها، واستعصائها على فقدان الثقة، وسريان الأمل في روحها، حتى أنها خشعت في لحظة فرادة مضيئة في صلاة مناجاة لملها العليا! لم تكن هي وحدها، كلية اليقين بما اعتنقت، فقد كان هذا سوية مجايلها ممن فتحووا على الأمل دون أن يتقبلوا بأي شكل كان تدينسه بشكوك رثة، لا تصمد أمام الإيمان المطلق.

وغاب عنها وعنا، نحن جيل التوهج، أن هذا التمنع، والإطلاق، وراحة البال، ما هي إلا أساس الخطيئة التي بددت الأمل نفسه، ولو إلى حين!

هل كان ضياعنا يكمن في لحظة اندفاعتنا الأولى غير الواعية، إلى العالم الحسي، عالم الروح والجسد والافتراضات السعيدة حيث تتلقفنا يد "الداية" التي لا تبشش في أذاننا بغير كلمات الاحتفاء والتمنيات؟

وما الذي في وسعها أن تفعل غير ذلك، وفي نفسها لا تعي، ونحن ننفضل عن مشيمنتنا، سر التناقض المحير الذي يظل مضمراً في أعماقنا البعيدة، بين صرخة الولادة، وفرحة الابتداء الإنساني الغامض!

نزيهة الدليمة عادت إلى الوطن، وهو يرقق، وتستباح كراماته ويتيه أبناءه غرباء بلا أوطان، يهيمنون في كل مكان مشردين، كتب عليهم الحرمان والبؤس في زمن يعيث فيه الفساد ويستشري، في كل مساماة من جسد دولتنا.

تعود نزيهة الدليمة إلى لحد منزو غريب بعد ان ظلت تتمنى حتى آخر لحظة، ان تكحل عينها بمرأى وطنها المستباح.

لعل في غفوتها، وقد عادت راضية مرضية، راحة بال لها، تضي في سرب الأبدية، دون أن ترى الكلاب تنهش لحمنا وتهرس عظامنا وتعلق دم خيرة أبنائنا، وتلف أشلاءنا بمنزق وأسماط الطائفة الرثة... يا للعار!!!

جريدة المدى ٢٠١٢



العراق، والضياع الذي يعيش فيه العالم من حولها؟

أي عبء ثقيل مرهق كان عليها أن تتحمله، وهي ترى مظاهر الانهيار تتراكم، وشظايا اليأس تتناثر مثل الطاعون، تصيب من كانت ترى فيهم، مرافق، يغفو المتعبون خائري القوى عند ضفافها ليسترجعوا قواهم ثم لينهضوا بعد ذلك من الرماد كالعنقاء!

في تلك اللحظات، التي يختلط فيها خيط اليأس بالأمل، أكرمتها الدنيا بانطفاء ذاكرتها! صارت تتحسس الأشياء والحركات والناس بعينيها وبعاطفتها الجياشة. لقد فقدت ذاكرتها... ونسيت مرة واحدة وإلى الأبد ما يشي بالخراب، وربما تناست هي عن عمد الفسحة التي تفصلها عن كل ما هو سابق للحظتها الراهنة، لتظل صافية الإحساس في أعماقها، مثل من ينكر موت معشوقته، ويظل يصلي في محرابها!

هكذا تخطت نزيهة الدليمة، محنة الإحساس بالانكسار والفشل وتبعثر الأمل، ولوعة التنصت من بعيد على نداءات الاستغاثة من سبابا الوحشية التي داهمت وطنها، ودعاءات المستباحة دماؤهم على أيدي المجدفين بالقيم، وهم يقذفون بعضهم بعضاً بالكتب المقدسة،

لكنه، وبيا للعيب، لم ينطفئ بفعل الصدفة المحضة، بل كان في أساس انطفائه خراب الوعي!

إستحالة النكوص

كان صعباً على نزيهة الدليمة، وهي تشرف على الثمانينات، أن تتحمل نكوصاً، أو اعترافاً بانطفاء الأمل، ولو إلى حين. كان مستحيلاً عليها، وهي تسترجع شريط ذكرياتها، ومرآة تكونها ونضوجها وانتمائها، وتحول قناعاتها وما اعترأها من ترددات وشكوك إلى إيمان مطلق، ان تنكفى أو ان تقبل بالهزيمة وان بدت مؤقتة، او بالتراجع بالمعايير التاريخية الخادعة. في مثل عمرها وقد أنهكتها الغربة، بعد أن نال منها تعب الصراع وتقلبات الحياة، لم تلتفت إلى الماضي إلا لتسري عن نفسها، وتستسخ منها كل ما هو مضيء، جميل، واعد، يتحرك كما لو كان حياة راهنة متدفقة بالحيوية والوعد، ولم يكن من سويتها أن تلتخ أي صفحة فيها، كما يفعل الهواة، الذين وضعتهم الصدفة على طريق هواها.

كيف كان لها ان تمنع الفكر، وقد جففت الشيوخوخة والإحساس بالنهاية، وما تبقى من بريق الأمل، في أسباب الخراب الذي حل في

كانت أقدس كلمات ذلك العهد الجميل، ما كان يرمز إلى معاني السلم والتضامن والإخاء، وحق التحرر والسيادة والانعتاق من كل أشكال الظلم والاستغلال والتمييز. وفي بلاد الرافدين كان التوحد في بوتقة الأمل، يرص صفوف الجميع. كان القومي والبعثي والوطني ورجل الدين والداعية للسلم يسجن بتهمته الشيوعية والأفكار الهدامة.

وفي منافي الوطنيين، كان السكان يحتضنون المنفيين، لا يعرفون أو يسألون عن اديانهم او قومياتهم او مذاهبهم او انتماءاتهم او عقائدهم، ان مجرد التعرف على هويتهم كسجناء رأي سياسيين، كاف لأقصى عطاء وحماية ورعاية.

هكذا كان أهلنا في لواء الرمادي، في هيت وعنه وراوة، وفي الجنوب والوسط، وفي السجون والمعتقلات، حيث كانت "المواطنة العراقية" هوية الكل وهوامهم. في زمن الرومانسية الثورية ذلك، كان التدافع بين الجموع، لتصدر المظاهرات والمواكب والاعتصامات سبيلاً للبطولة والوطنية والإيثار والشهادة وإخلاصاً للذات وللهوية ووقاية للآخرين من الرصاص! في لحظة غدر تاريخي مريب، بدأ ذلك الزمن، ينسل ويخفت لهيبه، شيئاً فشيئاً... ثم لينطفئ.

لمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الدكتورة نزيهة الدليمي.. ذكريات حية وعقود من النضال المثابر الدؤوب

كاظم المقدادي



مقابلة أجريتها قبل ربع قرن مع
الدكتورة نزيهة الدليمي رائدة الحركة
النسوية العراقية، وأول رئيسة لرابطة
المرأة العراقية، وأول وزيرة عراقية
في تاريخ العراق الحديث، ومناضلة
سياسية واكبت النضال الوطني
التحريري والديمقراطي طيلة نصف
قرن. أعيد نشرها بمناسبة الذكرى
المئوية لميلادها (١٩٢٣ - ٢٠٠٧)..

قبل خمسة وعشرين عاماً زارت الرفيقة الدكتورة
نزيهة الدليمي السويد تلبية لدعوة البيت الثقافي
العراقي وجمعية المرأة العراقية في يوتيوبوري
بالسويد. وقد شاركت بالإحتفالات التي جرت
بمناسبة الذكرى الأربعين لثورة الرابع عشر من
تموز المجيدة. وجرى للرفيقة الكبيرة تكريم مهيب
في كل من يوتيوبوري وستوكهولم تقديراً لمكانتها
وتاريخها النضالي الطويل، بوصفها إحدى
رائدات الحركة النسوية العراقية، وأول رئيسة
لرابطة المرأة العراقية، وأول وزيرة عراقية في
تاريخ العراق الحديث، ومناضلة سياسية واكبت
النضال الوطني التحريري والديمقراطي طيلة
نصف قرن.

إغتنمت فرصة وجودها في ستوكهولم وأجريت
معها المقابلة التالية - "طريق الشعب"، فأجابت
على أسألتني العديدة في حديث شيق عن ثورة
الرابع عشر من تموز، وعن نشأتها، والحياة
الطلابية، وحركة تحرر المرأة، وأول مؤتمر
لأنصار السلام، ورابطة الدفاع عن حقوق المرأة
العراقية، وأول لقاء بنساء العالم، وإتحاد النساء
الديمقراطي العالمي، و"ضغبرة" نساء السلطة،
وعن طبيعة العلاقة بين "رابطة المرأة العراقية"
والحزب الشيوعي العراقي، والمهام الراهنة
للرابطيات الشابات، وذكريات الماضي ضمن
مسيرة الحزب النضالية.

نشرت المقابلة في العدد المزدوج: رقم ٣، تشرين
الأول ورقم ٤، تشرين الثاني ١٩٩٨ من صحيفة
"طريق الشعب" تحت عنوان: "ذكريات حية
وخمسون عاماً من النضال المثابر الدؤوب" ..

× باعتبارك من الشخصيات الوطنية والسياسية
المعاصرة لأحداث ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والمشاركة
فيها، وبغض النظر عما آلت إليه مسيرتها، وعن
عوامل إنتكاسها، ما أريك بالتسميات التي تطلق
عليها، من قبيل "حركة"، و"إنقلاب"، و"حدث"
و"ردة" وما شابه، تجنباً للإعتراف بها كثورة
حقيقية؟

- أنني على قناعة لا يشوبها أي شك بأن ثورة
١٤ تموز ١٩٥٨ هي ثورة حقيقية لكافة طبقات

الأمر. لكنني أود الإشارة هنا الى ان "رابطة
النساء العراقيات" كانت تعقد إجتماعات ولقاءات
علنية طيلة فترة إجازتها رسمياً في كليات الطب
والحقوق ودار المعلمات العالية، وغيرها.

وكانت طالبات كل كلية يعقدن إجتماعهن لوحدهن.
الى جانب الكليات، كنا نستفيد من المؤسسات
الأخرى. فقد عقدنا، مثلاً، إجتماعاً في النادي
الرياضي الأولمبي في الأعظمية، حضرته أكثر من
مئة امرأة، تحدثت فيه عفيفة رؤوف عن المؤتمر
الأول للنساء العربيات، الذي عقد في القاهرة،
وكانت الرابطة مدعوة إليه، ومثلتها فيه الرئيسة.
وكانت مدام هدى الشعراوي هي المبادرة لعق
المؤتمر. وكان من قراراته تأسيس إتحاد نسائي
في كل قطر عربي، لا جمعية نسائية، ويتشكل
من كل الجمعيات التي حضرت المؤتمر. بالنسبة
للعراق، كانت قد حضرته، الى جانب "رابطة النساء
العراقيات، كل من "جمعية مكافحة الأمية"، (هي
جمعية تقدمية أيضاً، كانت تعمل فيها الدكتورة روز
خدوري، وهي التي مثلتها في المؤتمر) و"جمعية
حماية الطفل"، ومثلتها الدكتورة سائحة أمين
زكي. وأكد المؤتمر على أهمية دور المرأة في النضال
ضد الاستعمار والصهيونية، الى جانب نضالها في
سبيل حقوقها. أي ان عمل المرأة كان مرعياً للإطار
الوطني والقومي، وهو سمة من سمات ذلك العهد،
ولم يكن عملاً إنشوائياً محضاً منعزلاً عن المجتمع
وقضاياه الوطنية. وفعلاً تمخض إجتماع النادي
الرياضي الأولمبي، الذي تمثلت فيه كافة ممثلات
الجمعيات المذكورة عن تأسيس "الإتحاد النسائي
العراقي" وتشكيل هيئته الإدارية، التي مثلت فيها
"رابطة النساء العراقيات" بثلاث عضوات. وكان
ذلك في عام ١٩٤٥. وأصدرنا صحيفة باسم "تحرير
المرأة"، كنا نكتب فيها خواطر. أما توجيهه
الفكري، فكانت عفيفة رؤوف مسؤولة عنه، وكانت
تكتب أشياء لطيفة جداً تخص حياة المرأة والطفل
والحرمان في العراق. لازلت أتذكر تعقيباً لها اسمه
"الحرمان"، الذي تأثرت به جداً لعمق محتواه
وإسلوب كشفه لمشاكل الشعب. لم يتحمل نظام
نوري السعيد هذه الصحيفة، فأغلقها في عام
١٩٤٧ مع بداية الحملة الشعواء ضد الحريات في
ذلك العام، ولم يكن قد صدر منها سوى عدنان.

في أوج الحملة. في عام ١٩٤٧، قررت الإنتماء
الى حزب التحرر الوطني، ومن ثم الى الحزب
الشيوعي..

× لماذا حزب التحرر الوطني؟
- لأنه كان قد قدم طلباً لأجازه رسمياً، وهو
الحزب الجماهيري، الذي نعرفه آنذاك، ولا يحتاج
المرء الى بحث وتوغل.. ولكن السلطة لم تجيزه.
عندئذ إنتمت، مع الكثير من الأعضاء الآخرين،
الى الحزب الشيوعي العراقي..

× كيف تعرفت على مبادئ الحزب الشيوعي
العراقي؟

- بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي، تعرفت على
أفكاره من خلال النقاشات التي كانت تدور في
الكلية بين الطلبة، وكان يشارك فيها العديد من
الطلبة من مختلف الأحزاب العراقية. إضافة الى
ذلك كانت هناك صحف وطنية، مثل جريدة حزب
الشعب، وجريدة الحزب الوطني الديمقراطي
كـ "الوطن" و"الأهالي" وغيرهما من الصحف
التقدمية الليبرالية. وكان الحزب الشيوعي
العراقي يحوز على شعبية متميزة وسط الطلبة،
مقارنة بالأحزاب الأخرى، لوضوح أهدافه،

والقدرة على المناقشة والتساؤل والمتابعة. وإزداد
تعلقنا بترائنا، وحبنا لوطننا وشعبنا.

وفي أعوام الحرب العالمية الثانية كنت طالبة..
كنا نعيش في منطقة قرب باب المعظم، إلا ان
أقرب مدرسة لنا كانت مدرسة "تطبيقات دار
المعلمات"، وكانت في حينها مدرسة نموذجية،
حيث درست الابتدائية والمتوسطة، أما الدراسة
الثانوية فقد أكملتها في "الثانوية المركزية
للبنات".
كنت طالبة تتأثر بما تدرس من علوم، تحاول ان
تفهم من خلالها، وما تشاهده من أوضاع ومعاناة
مريرة يعيشها شعبنا، خاصة بعد دخول الكلية
الطبية في عام ١٩٤١-١٩٤٢ الذي أتاح لي فرصة
الإطلاع على تفشي مختلف الأمراض بين بنات
وأبناء شعبي، وإرتباطها بأوضاعهم المعاشية
المتدنية، وكانت لي طالبة صديقة..

× هل تذكرين إسمها؟
- نعم، وهي لاتزال حية ترزق، وأسمها نزيهة
رؤوف مخلص - شقيقة زوجة عبد الفتاح إبراهيم..
يعني من عائلة متنورة بالأفكار الديمقراطية. كنت
أناقش معها حول اسباب الأوضاع الإجتماعية
السائدة.. وعن طريقها تعرفت لأول مرة على نشاط
"الجمعية النسوية لمكافحة الفاشية والنازية".
وكنا نحضر سوية الندوات والمحاضرات، التي
تعدها الجمعية لتبيان خطر الأفكار الفاشية.
وكانت نشاطاتها عامة، لأن الجمعية كانت مجازة
رسمياً. وفي عام ١٩٤٥ دعنتي نزيهة الى إجتماع
عام للجمعية حضرته ٤٠٠ امرأة.

× أين عقد الأتتماع؟
- عقد في بناية الثانوية المركزية للبنين في بغداد.
وفي ذلك الإجتماع تقرر تبديل إسم الجمعية/ذلك
ان الحزب إنتهت، والفاشية والنازية إندرتا.
وبعد نقاشات وإقتراحات رسي الأختيار على
إسم "رابطة النساء العراقيات، وأصبحت عفيفة
رؤوف شقيقة نزيهة- رئيسة لها. وتم إنتخاب
هيئة إدارية جديدة، أصبحت عضوة فيها، وكنت لا
أزال طالبة في الكلية الطبية. وقمنا في صيف ذلك
العام بفتح صفوف لمكافحة الأمية. وقد أدركت على
نحو أعمق أهمية العمل بين النساء، لرفع مستواهن
ثقافياً وإجتماعياً، ليصبحن أكثر قدرة على حل
مشاكلهن بأنفسهن، والمطالبة بحقوقهن المهذورة.
طبعاً لكي أكتف الإجابة إختصرت الكثير من



وصموده، وصلابته، وعدم مراوغته حول القضايا الوطنية، وكان يطرحها بالشكل الصحيح. كان للحزب نشاط في كليتنا، وكان يمثلنا آنذاك فاروق برتو، الذي كان يزودنا بجريدة الحزب السرية وأدبياته الأخرى. ويمكن القول ان الدكتور فاروق برتو هو أول من عرفني على الحزب، وكان تحركه مقتصرًا على إيصال أدبيات الحزب فقط. وكانت لدينا نشاطات مع مع قوى وطنية أخرى. فعندما أعدمته السلطات الملكية الضباط البرزانيين الأربعة، قام طلبة صفنا، وهم من مختلف الميول والاتجاهات، بإضراب عن الدراسة، وكان زميلان من البارتي هما اللذان أخبرنا بجريمة الإعدام، وهما جمال رشيد فرج وكمال ناجي. فأعربنا عن تضامننا الوطني، وكنا نقوم بنقاشات سياسية، نقرأ الجرائد العلنية ونناقش ما فيها.. وكل هذا وسع من مداركنا.

× متى تم ترشيحك للحزب؟

– رشحت للحزب في عام ١٩٤٧، ونلت شرف العضوية في سنة الوثبة ضد معاهدة بورتسموث في عام ١٩٤٨. وفي هذه السنة تخرجت من الكلية وباشرت ممارسة مهنة الطب، وساعدني عملي السياسي في صفوف الحزب الشيوعي العراقي، والتمعن في أدبياته وأفكاره، على تفهمي، على نحو أعمق، لمشاكل أبناء وبنات شعبي، الأمر الذي ساعدني، أيضاً، على الإندفاع في خدمة شعبي ووطني. وأتاحت لي مهنتي كطبيبة الإطلاع عن قرب على مشاكل شعبي، وصرت أربط تلك المشاكل بشكل واع بسيطرة الإستمعار والأقطاع وبالتخلف في مختلف مناحي الحياة، خصوصاً بعد مساهمتي في مشروع منظمة الصحة العالمية..

× كيف جاءت الخطوة الأكبر وأصبحت عضوة في حزب الكاين الذي كانت قلة قليلة من نوي المهين الطبية تتعاطف معه؟

– لقد تنامي الوعي أثناء الحرب العالمية الثانية بإتجاه معاداة السلطة. وكانت هناك حريات نسبية، سُمح بها بعيد الحرب، ومنها حرية تأليف الأحزاب، فأجيزت في عام ١٩٤٦ أحزاب وطنية، وهي حزب الشعب، والحزب الوطني الديمقراطي، والبارتي، وقبل ذلك، كان هناك نشاط المنظمات الجماهيرية. فمثلاً، كان لدينا في الكلية لجنة لأتحاد الطلبة، وكنا ننتخب سنوياً ممثلين فيها. كانت المشاعر الوطنية تتأجج وتتصلق خلال النقاشات التي تدور بين الطلبة. علماً بأن إتحاد الطلبة كان يقوم بنشاطه علناً وبدون خوف، وهو نشاط لم يكن محتواه سياسياً صرفاً، بل طلابياً مهنيًا، أولاً، وندو محتى وطني تحرري، ثانياً.. لفضل كل هذا، دخلت من صفي نسبة غير قليلة (بالنسبة الى ذلك الوقت) الى صفوف الحركة الوطنية، وبالذات الى الحزب الشيوعي العراقي.

× نعود الى سنوات التخرج الأولى وبدائيات عمك كطبيبة..

– عيّنت، بعد تخرجي، كطبيبة مقيمة في المستشفى الملكي ببغداد. وهناك قضيت فترة الإقامة، إلا أنه أقر إعتراقات مالك سيف، والإعتقالات التي جرت، وورود إسمني ضمنها بأنني أمارس نشاطاً سياسياً في المستشفى، الى جانب النشاط النسوي، تم إستداعي الى "التحقيقات الجنائية".. أنكرت الإعتراقات، مؤكدة بأن طبيعة عملي بالمستشفى، وفحصي للمرضى، تجعلني أحتك يومياً بعشرات المواطنين، دون أن أعرف هذا المريض او ذاك من أي حزب أو إتجاه سياسي، فتم إطلاق سراحي، وتقلوني الى مستشفى الكرخ. وهنا، لن أنسى أبداً، من بين أمور كثيرة، والد الشهيد زكي بسيم، الذي أدخل المستشفى عقب إعدام نجده.. لقد ترك أعدام الرفاق الأبطال: فهد وحازم وصارم، أثره على الجميع. وفي بيتنا بالذات أعلن الحداد، مثلما فعل الكثيرون، لشعورهم بالظلم الجائر بحق المعدومين. والشهيد زكي بسيم كان يعمل مع أبي في إسالة الماء، وكان يحدثه عن أمور

كثيرة تخص شعبنا. من هنا مبعث الحزن العميق الذي خيم على أسترى.. جلبوا والد الشهيد الى القسم الذي أعمل فيه، وكان في حالة من الذهول والشروود الذهني، فأعنتت به عناية خاصة حتى شفائه.. كنت أجلس عند سريره، وكان يحدثني عن زكي وعن نشاطه وتضحيتيه في سبيل شعبه. في تلك الفترة أيضاً جيء الى المستشفى بسجينات سياسيات مريضات عن الطعام، مطالبات بتحسين ظروفهن في السجن، ورأيت صمودهن، وكيف كن يقاومن محاولات كسر أضرابهن بالقوة.. وكل ذلك أثر عليّ كثيراً..

بعد هذه الأحداث نقلوني الى السليمانية، ثم الى كربلاء. وهناك مررت بتجربة جديدة، ابتدأت بخروجي من بغداد وإلتحاقني بمجتمع آخر – مجتمع كربلاء.. بقيت هناك أشهر عديدة. كنت أسكن مع عائلة الدكتور مهدي مرتضى، الى ان إفتتحت عيادتي الخاصة.. عموماً، كنت هناك مقيمة في مجتمع محافظ جداً تجاه المرأة..

× وعمك الحزبي؟

– في هذه الفترة، تدرجت في التنظيم الحزبي، وعملت في اللجنة النسائية التابعة لمحلية بغداد (تأسست في عام ١٩٥٤)، وبعد ذلك تقدمت الى محلية بغداد (ولم تكن في ذلك الوقت قد أصبحت بعد منطقية). وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ رُشحت الى اللجنة المركزية للحزب، وعملت في اللجنة المركزية حتى إنعقاد المؤتمر الوطني الرابع للحزب في عام ١٩٨٥.

× وما أثر العمل الحزبي عليك؟

– من خلال نشاطي في صفوف الحزب الشيوعي العراقي تحققت صلتني بالحركة الوطنية العراقية، وبدأنا في الرابطة التوجه للنشاط داخل الحركة الوطنية العراقية. فكننا ننظم، خلال الأحداث الوطنية والسياسية، الوفود الى الأحزاب السياسية، تأييداً، أو لإبداء موقف، أو لأعلان وجهة نظر. وكانت الوفود معروفة بكونها لرابطة الدفاع عن حقوق المرأة. وصرنا نقرن نشاطنا بين العمل السري والعلني. على سبيل المثال، إنتمت أثنين أو ثلاث عضوات من أعضاء اللجنة العليا للرابطة في "الاتحاد النسائي العراقي"، الذي أجازته نوري

باسم " المرأة تحل مشاكلها " بإسم مستعار أيضاً. وتضمن أمثلة، وتجارب، وأساليب عمل لحركات نسوية أخرى. وقلنا في خلاصته على المرأة ان لا تنتظر الآخرين ليحلوا مشاكلها، بل يتعين ان تأخذ قضيتها بيدها.. بالمناسبة، كان الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم يساعدنا كثيراً في مسائل الطبع في مطبعته..

لقد إستفدت كثيراً من حضوري لمؤتمر النساء العالمي الثالث. وأصبحت لدى قيادة الرابطة قناعة بأهمية المشاركة في مثل هذه المؤتمرات. فأخذنا نرسل ممثلات للرابطة للمساهمة بفعاليات إتحاد النساء الديمقراطي العالمي، وأصبح للرابطة ممثلة دائمة في سكرتارية الإتحاد. وفي عام ١٩٥٩ إنتخبت في مؤتمر إتحاد النساء الديمقراطي العالمي (لا أتذكر الآن ترتيبه) الى عضوية لجنته التنفيذية، بقيت عضوة تنتخب في مؤتمراته اللاحقة الى ان قام إتحاد السلطة بـ "ضغبرته" في عام ١٩٧٩، مطالباً بعضوية مكتب الإتحاد. وتآزم الموقف فيما بعد بين السلطة الحاكمة وربطتنا.

بالنسبة لحركة السلم، ساهمت مساهمة جدية، ضمن الجهود الجماعية للتحضير لعقد المؤتمر الأول لأنصار السلام في العراق، الذي تم بشكل سري في بغداد. كنت ضمن لجنة خاصة للعمل في صفوف أنصار السلام، كانت تضم الرفيق صفاء الحافظ وعدد آخر من الرفاق. تشكلت للمؤتمر لجنة تحضيرية واسعة، ضمت طلعت الشيباني، فاروق برتو، وعدد من الوجوه الديمقراطية الأخرى. حضرت المؤتمر وفود من المحافظات. عُقدت الجلسة الأولى للمؤتمر في حديقة خاصة تابعة للزميل الطبيب أحمد الجبلي، وحضرها أربعون نصيراً وعشرين نصيرة سلام من مختلف المحافظات. إفتتح المؤتمر الشيخ عبد الكريم المشاط (مع إتساع الحركة بدأت تنظم وجوه إجتماعية معروفة، مثل المشاطة والشيخ محمد الشيباني – والد الشهيد حسين الشيباني – وعدد من رجال الدين – لا تحضرني الآن أسماءهم – ومن أحزاب عديدة – كالحزب الوطني الديمقراطي، وشخصيات مستقلة. وحضره أيضاً جلال الأوقاتي ونائل سمحيري وخدوري خدوري، وغيرهم من رجالات البلد المعروفين.. بالنسبة للأسماء أحياناً تغيب عن بالي ويصعب عليّ تذكرها)..

إشتمل اليوم الأول للمؤتمر، عدا الإفتتاح، على مناقشة الأوضاع ومخاطر إنضمام العراق الى الأحلاف، وغيرها من القضايا التي تهم حركة أنصار السلام. وأجمع الحاضرون على شجب الأحلاف العسكرية، والسلاح النووي. في اليوم الثاني تشكلت لجنتان، أحدهما إجتمعت في بيت فاروق برتو، والثانية في بيت كمال عمر نظمي. الأول كان والده رئيساً لحكمة التمييز. والثاني والده وزيراً. لذا لا يجلب الإنتباه تواجده غير قليل من الناس في بيوتهم. في اليوم الثالث عقد إجتماع عام في حديقة بيت فاروق برتو، مخض عن صياغة البيان الختامي. وفي صباح اليوم التالي صدرت وقائع المؤتمر في إحدى الصحف الوطنية (كان صاحبها ينتظر، في كل لحظة، غلقها من قبل السلطات، فوضعها تحت تصرفنا). ووزعت الجريدة على نطاق واسع. ففاجأنا الحكومة بإنعقاد المؤتمر، وبنشر بلاغه الختامي وقراراته. فأغلقت الجريدة إثر ذلك، طبعاً، إلا ان أخبار المؤتمر وتفاصيله وصلت الى جمهور واسع في كافة أنحاء العراق.

بعد المؤتمر إستعنت حركة أنصار السلام العراقية كثيراً. وأقلعت بنشر الوعي ضد الأحلاف العسكرية. وكانت الصحف الوطنية، ومنها " الأهالي " تنشر أفكار الحركة. وكان توفيق منير مساهماً نشيطاً في النشر على صفحاتها، والمسؤول عن ركن خاص بأنصار السلام في الجريدة. وكان هناك إتفاق جماهيري واسع حول الحركة وأنشطتها.

السعيد بإسم " جمعية النساء العراقيات، وكانت رئيسته آسيا وهبي – زوجة توفيق وهبي – التي فرحت بوجودهن في جمعيتها لنشاطهن المتميز بعد أن افتقرت لأي نشاط يذكر. ولم تكن فيها طالبات كليات، ولا عضوات نشطات مثلهن. وقد عرفن (الرابليات) كيف يُنشطن الجمعية المذكورة لخدمة حقوق المرأة العراقية. فأقترحنا، مثلاً، على رئيستها ان تنظم الجمعية إسبوعاً خاصاً لحق المرأة في الإنتخابات، فوافقت.. سمي "إسبوع المرأة"، وإشتمل على العديد من اللقاءات والمحاضرات، التي كنا نعبئ الجماهير النسوية لحضورها، وتقودها الرابليات، ويتحدثن فيها الى النساء.. وهكذا كنا نحرك الأوساط النسائية.

× ما هي حصيلة ذلك على حركة الدفاع عن حقوق المرأة؟

– الحصيلة إيجابية جداً. فقد أتاح لنا العمل العلني في صفوف المنظمات النسوية الأخرى منافذ عديدة ومفيدة جداً لممارسة نشاطنا، والتعريف بهويتنا الوطنية لأوسع الجماهير. وسهل العمل العلني أصلاً تحرك العديد من الفتيات اللواتي كن يجدن صعوبة كبيرة في الخروج من البيت، فأخذن يحضرن الفعاليات المعلنة لجمعية مجازة رسمياً. وقد لقين الدعم المعنوي من قبلنا، الذي شجعهن على الخروج والمشاركة..

× بودنا ان يعرف قرأنا نبذة عن نشاطك على صعيد إتحاد النساء الديمقراطي العالمي، في حركة السلم العراقية..

– إنتخبت رابطتنا الى إتحاد النساء الديمقراطي العالمي في عام ١٩٥٣، أي بعد سنة من تأسيسها، وتم قبولها في مؤتمر النساء العالمي الثالث في كوبنهاغن، الذي حضرته ممثلة عنها. وكان المؤتمر خاص بحقوق المرأة. وقد أتاح لي ان أرى لأول مرة نساء من كل أنحاء العالم. بعد رجوعي الى العراق، قمنا بطبع قرارات مؤتمر كوبنهاغن في كرس، بإسم مستعار، ووزعناه بشكل واسع. وقمنا بقرائته لمن لا تعرف القراءة. ونظمنا إجتماعات كرست لمناقشة القرارات. أعقبناها بإجتماعات أوسع لمناقشة ومعالجة المشاكل التي تعاني منها النساء العراقيات، وأصدرناها بكراس

كيف أختيرت نزيهة الدليمي وزيرة للبلديات سنة 1959؟

د. موفق خلف العليوي



في الرابع عشر من أيار ١٩٥٩، ألقى الزعيم عبد الكريم قاسم خطاباً بمناسبة عقد مؤتمر اتحاد الصناعات في الجمهورية العراقية، لمخ فيه بشكل غير مباشر إلى الشيوعيين بأنه يعمل على إشراكهم في الحكم، إذ قال: "أنني نصير الفقراء ونصير العامل ونصير الفلاح ونصيركم، وأنني نصير المرأة وأنتصر إليها فإن المرأة أيها السادة لأول مرة في تاريخ المشرق العربي سوف تشاركنا في الحكم، أيها الأخوات أيها السادة أن المرأة قريباً سوف تشاركنا في الحكم وسوف تكون عضواً في الوزارة القادمة".

كان ذلك الخطاب إشارة واضحة إلى الدكتوراة نزيهة الدليمي، المقربة من عبد الكريم قاسم، الذي عدّها شيوعية لكنها غير مرتبطة بالتزامات تجاه الحزب الشيوعي في ذلك الوقت، حسب ما أكدته البرقية التي بعث بها همفري ترفليان إلى حكومته في التاسع عشر من تموز ١٩٥٩ إذ يقول: "أطلعت على تقارير سرية تشير إلى أنه في أيار من هذه السنة، عدّها قاسم (ويقصد نزيهة الدليمي)، شيوعية ولكنها غير مرتبطة بالتزامات تجاه الحزب الشيوعي في الوقت الحاضر. ولذلك فقد يكون صحيحاً أيضاً أنها أبدت نفسها عن الحزب بشكل وقتي أو دائم. وأنني أنقل أليكم هذه المعلومات لأنني أعتقد بأنها صحيحة على الأكثر. وقد تكون هذه المعلومات متطابقة مع خطة قاسم الواضحة بأن يضع في حكومته عدة أشخاص من ذوي الميول الشيوعية، ولكنه في الوقت نفسه لا يدع مجالاً للحزب الشيوعي أن يكون ممثلاً في الحكومة بصفته حزباً".

في الخامس من تموز عام ١٩٥٩، عقد الزعيم عبد الكريم قاسم مؤتمراً صحفياً قال فيه: "أن التعديل الوزاري قريب جداً وقاب قوسين أو أدنى وأن المرأة عندما تشارك في الوزارة فهي تمثل المرأة مهما كان عددها، ليست القضية قضية العدد وإنما الأصل هو المبدأ... أن المرأة ستشارك في الوزارة قبل ذكرى ثورة ١٤ تموز".

في الثالث عشر من تموز عام ١٩٥٩، صدر المرسوم الجمهوري رقم ٤٨٠ بالتعديل الوزاري الجديد، وهو الثالث منذ قيام الثورة. وكالاتي: استناداً إلى المادة الثانية من قانون السلطة التنفيذية رقم ٧٤ لسنة ١٩٥٩ ونظراً لاستحداث وزارات جديدة وإلغاء وزارات أخرى أو بتبديل أسماء بعضها وضرورة إشغال المناصب الوزارية الشاغرة قبل يوم ١٤ تموز ١٩٥٩ وبالنظر لما تقتضيه المصلحة العامة رسمنا بما هو آت: أولاً: تبديل أسماء الوزارات التالية كما في أدناه:-

- وزارة التربية والتعليم بوزارة المعارف. - وزارة العدلية بوزارة العدل. - وزارة المواصلات والأشغال بوزارة المواصلات. ثانياً: تلغى الوزارات التالية على أن تندمج بوزارات أخرى وفقاً للقانون رقم ٧٤ لسنة ١٩٥٩.

- وزارة الاقتصاد. - وزارة الإعمار. ثالثاً: تستحدث الوزارات التالية: - وزارة التخطيط. - وزارة البلديات. - وزارة الأشغال والإسكان. - وزارة النفط. - وزارة الإصلاح

الزراعي. - وزارة التجارة. - وزارة الصناعة. رابعاً: يعين الوزراء بالمناصب التالية: الدكتور طلعت الشيباني وزيراً للتخطيط بدلاً من وزارة الإعمار.

الدكتوراة نزيهة الدليمي وزيرة للبلديات. السيد عونى يوسف وزيراً للأشغال والإسكان. الدكتور فيصل السامر وزيراً للإرشاد. السيد عبد اللطيف الشواف وزيراً للتجارة. الدكتور إبراهيم كبة وزيراً للإصلاح الزراعي ووزيراً للنفط وكالة. تسند وزارة الصناعة بالوكالة إلى السيد محمد حديد وزير المالية.

خامساً: على رئيس الوزراء تنفيذ هذا المرسوم. كتب ببغداد في اليوم السابع من شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٩ هجرية المصادف لليوم الثالث عشر من شهر تموز سنة ١٩٥٩ م.

رئيس الوزراء مجلس السيادة وبصدور ذلك المرسوم، شغلت الدكتوراة نزيهة الدليمي منصب وزيرة البلديات، لتكون أول امرأة في تاريخ العراق والمشرق العربي الحديث تصل إلى منصب وزاري، وذلك بعد أن أصبح المرسوم الجمهوري سابق الذكر نافذاً من خلال نشره في جريدة الوقائع العراقية.

تعددت الآراء في موضوع تعيين الدكتوراة نزيهة الدليمي في منصب وزاري، فمنهم من يعتقد بان عبد الكريم قاسم أراد أن يعد ذلك مظهراً من مظاهر تقدمية نظامه، وأن يثبت للعالم الخارجي أن العراق أول دولة عربية تقدم على مثل هذه الخطوة، في حين عدّه آخرون حلاً وسطاً أكد استقلالية عبد الكريم قاسم من جهة، وهدأ الشيوعيين من جهة أخرى، مقابل التراجعات التي قدموها بإيقاف حملتهم التنقيحية للاشتراك في السلطة، وأن ذلك تم بالاتفاق بينها وبين عبد الكريم قاسم لسد النافذة التي فتحها الحزب الشيوعي، بمطالبته بالاشتراك بالوزارة، وأن اختيارها كوزيرة لم يكن له تأثير في سياسته.

الراجح في أمر تعيين الدكتوراة نزيهة الدليمي في الوزارة هو محاولة عبد الكريم قاسم كسب ود الشيوعيين، وإقناعهم بأنهم اشتركوا في الوزارة عن طريق حصول نزيهة الدليمي على وزارة البلديات، كما أنه لم يكن يعدّها شيوعية فاعلة ومؤثرة، وبالتالي فهي لا تؤثر في سياسته، وهذا ما أكدّه تقرير السفارة الأمريكية في بغداد

إلى خارجيتها الذي نص على: "أن هذه التعيينات جاءت حلاً وسطاً بين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي، إذ ليس فيهم من هو شيوعي معروف".

عن مدى معرفة نزيهة الدليمي بأمر تعيينها كوزيرة، وهل كان بالاتفاق مع عبد الكريم قاسم، فالراجح أنه لم يكن صحيحاً، إذ أنها تذكر في لقاء معها نشرته جريدة المشرق الأوسط في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ٢٠٠٧ "أصل بي مرافق الزعيم في ذلك الصيف القاظ من عام ١٩٥٩ طالباً مني الحضور إلى وزارة الدفاع، لم أكن أملك ثمن التاكسي، لذلك ركبت الباص رقم (٤) الذاهب إلى الباب المعظم، حيث تقع وزارة الدفاع، ثم نزلت وسرت مسافة طويلة تحت الشمس الحارقة، من البوابة الخارجية حتى بلغت مكتب قاسم، وأنا أسأله عن سبب استدعائي. وبعد لقائي به قال انه بصدد استحداث وزارة جديدة للبلديات وطلب مني اقتراح هيكل لها وان أكون وزيرتها، نظرت له بهششة وقلت أنا مواطنة بسيطة وطبيعية لا تفهم شيئاً بالوزارات، لكنه ضحك وشجعني قائلاً انه يتفق بي وبقرارات النساء على المشاركة في بناء البلد".

وفي السادس عشر من تموز ١٩٥٩ حضرت الدكتوراة نزيهة الدليمي أول اجتماع لمجلس الوزراء، بصفتها وزيرة للبلديات ضمن التشكيلة الوزارية الجديدة.

قدمت نزيهة الدليمي خدمات كثيرة إثناء مدة تسلمها لوزارة البلديات على الرغم من قصر تلك المدة، إذ أنها لم تدم سوى عشرة أشهر، حاولت خلالها تقديم الخدمات البلدية إلى كافة المناطق، من خلال النزول إلى ميادين العمل والإشراف المباشر على تنفيذ المشاريع، ويذكر المحامي طارق حرب إنها في آب من عام ١٩٥٩ زارت منطقة الزعفرانية التي كان والده مختاراً لها ويقول: "دهشنا واستغربنا، إذ هل سيتولى وزير زيارة هذه المنطقة الشعبية وهذا الوزير امرأة... شاهدناها وكانت ترتدي النظارات بسبب الغبار الذي يسببه الشوارع العام في المنطقة. تقعدت المنطقة وسألت الكبير والصغير والرجل والمرأة عن حاجة المنطقة ووعدتنا خيراً في تنفيذ مطالبنا. وبعد أيام شاهدنا المكائن التي ابتدأت بتبليط الشوارع العام للمنطقة". كانت نزيهة الدليمي تجوب كافة مناطق العراق،

وتعقد الاجتماعات مع كل رؤساء البلديات، وفي العشرين من آب عام ١٩٥٩، عقد مؤتمر مهندسي مشاريع الماء والكهرباء في الجمهورية العراقية، وكان الهدف منه وضع دراسة فنية لمشاريع الماء والكهرباء في كل لواء وقضاء وناحية، سواء من ناحية تأسيس مشاريع جديدة أو من ناحية توسيع المشاريع التي كانت قائمة، إذ أن تلك المشاريع كانت تنفذ بشكل ارتجالي وعلى أساس تقدير غير دقيق، وتنفذ بكثير من التبذير، وفي تصريح لها لجريدة اتحاد الشعب، أعلنت فيه بأنه تم تكليف المهندسين لإجراء مسح دراسي شامل لمشاريع الماء في العراق، وتوقعت أن يستغرق ذلك شهرين، وأخر مشاريع الكهرباء يستغرق ستة أشهر، الغرض من ذلك هو معرفة الوزارة كل شيء عن حاجات البلديات في هذه الناحية ووضع خطط مستقبلية على ضوءها.

كان هم الدكتوراة نزيهة الدليمي ينصب نحو تحقيق مشروع آخر مهم هو أن يكون رؤساء البلديات وأعضاء هيئاتها منتخبين من قبل الشعب، وليس معينون من قبل الحكومة، وسعت إلى تحقيق ذلك من خلال دعوتها لعقد مؤتمر في الخامس من أيلول عام ١٩٥٩، لرؤساء ومهندسي البلديات، لدراسة ميزات إيجابياتها وإدارتها ومشاريعها، كما جاءت بهيئة قانونية من أجل وضع قانون ينظم عملية انتخاب أعضاء المجالس البلدية باعتبارها مستقلة عن الحكومة، وقدمت ذلك القانون إلى الزعيم عبد الكريم قاسم ولكن الأخير رفضه ولم يسمح به، دون ذكر أسباب رفضه، أما فيما يتعلق بتوجهها لترسيخ أسس الديمقراطية في الجمهورية العراقية هو إصدارها لقرار عمم على كافة المديرات التابعة للوزارة، وعلى رؤساء البلديات، منحت بموجبه منعاً باتاً فصل عمال البلديات لمجرد أنهم أعضاء في النقابات الخاصة بهم، كما نص القرار على إعادة جميع العمال الذين فصلوا قبل ذلك لأسباب أنفة الذكر.

وفي الثالث عشر من أيار ١٩٦٠، صدر المرسوم الجمهوري ذي الرقم ٢٦٣ ونص على تعيين الدكتوراة نزيهة الدليمي بمنصب وزيرة دولة بدلاً من وزيرة البلديات، وتعيين السيد عباس البلداوي بدلاً عنها.

عن رسالة (نزيهة الدليمي ودورها في الحركة الوطنية والسياسية العراقية ١٩٢٤ - ٢٠٠٧).

قضية نزيهة الدليمي

رشيد الخيون

هذا يصبح: "نزيهة صارت بالحكم موتوا يا بعثية"، وذلك يرد: "نزيهة... على الجسر وتمزك المهداوي" في أجواء (١٩٥٩) لم يكن المرسوم (٤٨٠)، الذي أصدره رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم (قتل ١٩٦٣) والقاضي بتوزير امرأة، مستهجنًا! ولا يفسر هذا بما جلبته ثورة ١٤ تموز من انفتاح، إنما كان تراكمًا سابقًا. ففي الخمسينيات في ظل العهد الملكي حصلت ثورة مدنية، منها صياغة قانون موحد للأحوال الشخصية، عرقل رجال دين صدورهم، ليصدر مع الإضافات بعد الثورة، ويُذكر للدليمي



اشتهرت نزيهة الدليمي (١٩٢٤ - أكتوبر ٢٠٠٧) في آفاق العراق، ناشطة يسارية منذ الأربعينيات، وقيادية منذ الخمسينيات، وطبيبة طافت في معظم مدن وقرى البلاد، وأول وزيرة. وعلى الرغم من أن توزيرها لم يكن تمثيلًا للحزب الشيوعي العراقي، مثلما يُشاع، بل لشخصها وتمثيل بنات جنسها، إلا أن هتافات العوام طرحتها على الألسن موضوع خلاف.



أنها كانت المحرك لإصدار ذلك القانون. ذلك إذا تأكد أن رابطة المرأة التي كانت تقودها بلغت أكثر من أربعين ألف منتسبة. لكن، الفلك عاد القهقري إلى ما كان عليه في دستور (١٩٢٥)، وأخذت المادة (٣٩) من الدستور الجديد تقلق النساء، وهن أكثر خلق الله عددًا بالبلاد. رأيت واحدة من حفيدات الدليمي تعرض لجلال الطالباني امتعاضها من تثبيت تلك المادة، وكانت عليها إمارات التدين وتحد من أسرة معروفة بديوانها الأدبي ببغداد. كان رد الرئيس توفيقًا، فهو لا يمتلك صلاحيات الرؤساء السابقين، ويعمل مع قوى وكأنها ابتغت السلطة من أجل هذه المادة! وسبق لها أن عرضت القضية في مجلس جمعنا بمسعود البارزاني، فوعدها أن يعمل ما في وسعه لإزالة تلك المادة، التي نشئت العراقيين: هذا يزوج بعمر تسع سنوات، وذاك يبيح الطلاق بلا شهود، وهذا لا يشترط الزواج بشهود، وهذا يورث البنت، وذاك لا يبيح.. إلى آخره.

تكاثرت ظاهرة الوزيرة ونمت، وأصبح لبغداد وزيرات، وبرلمانيات ناشطات في قضيتهن، على الرغم من الهيمنة الفقهية على عدم منهن. إلا أن الرجال البرلمانيين، من العمائم والأفندية، لم يتضايقوا من ترأس زميلتهن زكية إسماعيل حقي (تموز ٢٠٠٦) جلسة أو أكثر من جلسات البرلمان، في غياب الرجال من الرئيس ونائبه (مقال للمحامي طارق حرب). وإذا عدنا إلى ماضي بغداد الغابر، نجد نموذج الدليمي تحقق في القهرمانه (تمل)، عندما أسندت إليها إدارة ديوان المظالم (التنوشي، الفرج بعد الشدة). وصحيح أن الدولة آنذاك كانت في قبضة أم المقتدر (ت ٢٢٠هـ)، ولربما هي التي دفعت لهذا التعيين، غير أن إمامين لهما حضورهما ببغداد العباسية: أبو حنيفة (قتل ١٥٠هـ)، وابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جوزًا ولاية النساء للقضاء (الأحكام السلطانية). وما أشبه رد المظالم بالقضاء! كان المستوى البغدادي آنذاك، كما يبدو، شبيهًا بأجواء تعيين أول حقوقية عراقية، وهي صبيحة الشيخ داوود قاضية (١٩٥٦)، ورئيسة لمحكمة الأحداث. والحقوقية واثبة السعدي عضوًا في المحكمة، ومحاضرة في المعهد القانوني، وكم من الرجال القضاة تعلموا على يدها. ولا نتوقف عند رفض إسناد وظيفة القضاء للمحاميات بالنجف (٢٠٠٣)، فهي مدينة لها قيودها ولبيريتها أيضًا، بل نلتفت نحو القاضية التي تجلس إلى جنب رئيس المحكمة العليا، التي حاكمت أعوان السلطة السابقة. حقًا لنزيهة الدليمي التسربل بلقب "عميدة الحركة النسوية العراقية"، و"الشخصية الوطنية المرموقة"، حسب تأبين رئاسة الجمهورية. وليس لمن رغب بتبديل كتاب "الأوائل" أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) نسيان أنها أول وزيرة في تاريخ العراق والعرب أجمعين. لم تفارق الدكتوراة، مثلما يناديها المحبون، معنى اسمها، فقد ظلت نزيهة، ويُشهد لها، وهي وزيرة البلديات، أنها أعضبت قياديًا في حزبها لامتناعها من تعيين شخص غير مؤهل (حسب المحامي خالد عيسى طه).

سمعتها عبر فلم أعدته لها أنعام كه جه جي، تقول: "تودي عليّ لمقابلة الزعيم عبد الكريم، فذهبت إليه راكبة الباص، وحينها كلفني بوزارة البلديات!" وظلت وزيرة لفترة تكفيها لو تخلت عن اسمها، مثلما هو الفساد اليوم، ألا تعود لركب الباص العمومي، وما هي انتقلت إلى بارئها ولم تدخر شيئًا، سوى عضويتها في مؤتمر السلام العالمي جنبًا إلى جنب مع صاحب العمامة البيضاء الشيخ عبد الكريم المشاط (ت ١٩٥٩)، وما تركته في نفوس من أنقذتهم من (الجل)، وهو مرض معد انتشر في أرياف العراق بداية الخمسينيات، وما لها من حصص في إسكان أهل الصرائف من أطراف بغداد بمدينة الثورة.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى لريم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طُبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

الى المجد.. نزيهة الدليمي!

مهند البراك

كاتب راحل



عما كان يجري.

ومرت السنين وتقلبت حكومات و اوضاع .. وفيما كان الأرهاب مستمرا او اخر الستينات، كنت في هيئة طلابية قادت قطاعاً طلابياً واسعاً إضافة الى قيادتها للسياسيين من قيادة وكوادر " اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية " آنذاك .. وكنا متهيبين في بيت في " مدينة الحرية " في شمال بغداد لحضور مشرف للتتقيف ول مناقشة قضية " حقوق المرأة " .. ولم يكن المشرف الا الدكتورة نزيهة الدليمي القائدة النسائية العراقية المعروفة، التي اوضحت بدقة وصبر وبقابلية على شد الأهتمام مفهوم " قضية المرأة " التي كان يفهما كل منا على طريقته ورؤيته وانطلاقاً من بيئته ومعرفة.

كنا مشدودين الى ان القضية ليست قضية حجاب او لاحجاب، ولا قضية تدخين وجينز، ولا قضية تبرج وتزيين ولا لن وكيف .. وانما وبعيدا عن التشوش والضياح في التفاصيل والصغائر والتشويه .. تتلخص ب: تساويها مع الرجل كإنسان .. في الحقوق الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الاجتماعية وامام القانون .. وان الصراع حولها، بمداهم وحجم تأثيرها وشموليتها الاجتماعية، يجعلها قضية سياسية مصيرية ووطنية كبرى لابد ان تكون في صلب نشاطات قوى التحرر والديمقراطية لأنها ليست قضية اجتماعية عامة، او قضية اسيرة برغبة او هوى .. الأمر الذي فتح عيوننا واذهاننا وكانت محطة هامة من محطات الدخول في حقيقة اوضاع مجتمعاتنا وفي الحقائق المرة المغلفة التي تعيشها.

بعد انتهاء الاجتماع، دعنتني الى مرافقتها .. سرنا في ذلك الظلام الحال في جادة طويلة عابرين خلالها برك الماء الأسن، خائضين في الأحوال، داخلين في نقاشات طويلة عن الوسط الطلابي الذي كان ملتها، وكانت مفاجئتي انها كانت تقف على عديد من الأمور الطلابية التي كانت الأحدث، والتي حملت معاني اوسع كانعكاس وكفعل فيما كان يجري، مؤكدة على اهمية اليقظة وتقلب امور كثيرة كانت تجري في قطاع الثانويات لأسباب عشائرية وشخصية، كانت محاولات تجري لتجسيرها وكأنها صراعات سياسية، داخلية في تفاصيل اهمية ومعاني المنظمات الجماهيرية في تحقيق المطالب والسير على

طريق التقدم الاجتماعي والحضاري، بصياغات سلسلة متفهمة ومتفاعلة مع حرارة وتسرع وشعور الشباب بقدرته .. مع تبصير وتوجيه ودعوة لعدم التحليق عن الواقع.

وفي الأخير لم تنس ان تسألني عن صحة واحوال والدتي وابي وجدتي .. مبررة عن اعتزازها بتلك العائلة الجميلة رغم الضنك، حين كانت تضيف لقاءاتهم وكانوا وكن يحملن قطع الحلوى لصغارها في السنة عشية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وبعد ان حملتني حياتها الحارة لهما واتفقنا على مواعيد تنظيم اعمالنا .. افترقنا.

للتلقي مرأت ومرأت في لجة توجيه العمل الديمقراطي والجماهيري الذي كان مرصوداً ومُربصاً به، حين كان العمل جارياً من الكتاتورية لتطبيع اركانه وتحطيمه على مراحل، لنفترق .. ثم للتلقي بعد قرارات تجسيد المنظمات الديمقراطية .. في الاجتماع الموسع الطارئ لنشطاء العمل الديمقراطي في قاعة قرب "ساحة عقبة بن نافع" او اخر ١٩٧٧ الذي كان مطلوباً منه بلورة موقف امام تزايد اجراءات السلطة الدكتاتورية لمحاولة فرض الاعتراف بمنظمات البعث الجماهيرية!! .. حين تمت الموافقة على طلبي بان لاكون في هيئة الرئاسة كي استطيع طرح آرائي في التنبيه الى مخاطر ما كان يجري .. كانت الدكتورة بكل انفعالها وبوجهها المحمر من الأتفعال تصدى من موقعها في هيئة الرئاسة للأفكار التي حملها البعض في التهوين .. من الأمور الخطيرة التي كانت تجري، وتتصدى لتقبلها.

كانت اممية بكل المعاني، ولم تستسهل تنسيب الأفكار الى انتماء اصحابها القومي او الديني او الطوائفي، بقدر ماكانت تناقش تلك الأفكار للتتفق معها او تحاول مناقشتها وتفنيدها ان اختلفت معها بما امتلكت من معارف. وفيما اعتنت بصداقاتها الواسعة المتنوعة التي ضمت العديد من وجوه المجتمع ومثقفيه ومثقفاته، وكانت تشجع على التفاعل مع المجتمع وعلى تجنب الأنعزال عنه، حيث لايمكن ان يتحقق سعياً لتطويره، دون العيش فيه .. فكان لها حضورها الواضح في الأوساط السياسية والاجتماعية والمهنية الطبية في البلاد كداعية بارزة لحقوق المرأة ورعاية الطفولة

كنا صغراً عندما صارت د. نزيهة الدليمي اول وزيرة في العراق وفي العالم العربي، حين كانت احاديث وذكريات الكبار الحميمية عنها وعن وجوه معروفة اخرى، كالدكتور عبد الأمير السكافي ود. حسين الوردى وأخريات وأخرين .. عندما كانوا يلتقون في بيتنا، وكانوا يحملون لنا معهم الحلوى ويعودوننا عندما كان احدنا يمرض لسبب او لآخر.

حين كانت الأحاديث النسائية تتناول اسماء وشخصيات نسائية لها حضورها في الحياة البغدادية آنذاك، اضافة الى د. نزيهة الدليمي، الطبيبة النسائية المعروفة خالدة القيسي، بثينة البستاني، بنات شيخ رشيد، وبنات السلام (١) وغيرهن ممن شكلن بنات ونساء من العائلات الأكثر تحسراً في الرصافة والأعظمية، وممن عرفن بانحيازهن لقضايا الفقراء .. في تلك المنطقة.

وفيما اثار ذلك الأستيزار الفرح بين اوسع العوائل لأن الوزيرة منها ومنهن ويعرفنها ويعرفن نزاقتها وعمق اخلاصها لقضية المرأة بترابطها الوثيق بقضية كل المحرومين رجالاً ونساءً .. فإنه اثار موجة غضب وحقد عاصفة من نشاطات جماعات عرفت بتزمتها ومعاداتها لكل مايصمت للتحرر بصلبة، التي كانت معززة بفرق مسلحة تشققات وقتلة محترفين كانوا مسلحين بكل مايصمت .. اشاعت الموت والرعب لكل من ايد او اتهم بتأييده للدور الذي لعبته الوزيرة الرئيسة (السكرتيرة) الأولى ومؤسسة "رابطة المرأة العراقية" بسن اول قانون للأحوال الشخصية في العراق.

وفيما كانت جماهير واسعة تتابع بفرح ولهفة الشاشة الصغيرة وهي تنقل مراسيم استقبال المناضلة الجزائرية المعروفة " جميلة بوحيرد " .. فان ظهور بوحيرد على الشاشة الفضية وهي تحيي د. نزيهة التي كانت تقف الى جوار العقيد المهراوي، اشاع موجة من هجوم مسلحين ملتزمين قاموا بتحطيم كل تلفزيون امكن رؤية شاشته او امكن سماعه وهو يغطي تلك الفعالية، ضاربين من طالبته ايديهم بالهراوات التي ادمت وحطمت .. صائحين مولولين بان (الوزيرة والمهداوي يتعاونان ضد سلامة الجمهورية) وانهما كافران!! .. لتغطي صحف معروفة في اليوم التالي ذلك بمانشيتات وصور مصحوبة بتعليقات من قبيل (عبرت جماهير شعبنا الأمين عن حرصها على سلامة الوطن وعلى الأخلاق من المخربين والكفار)!

استمرت تلك التجاذبات الدموية وازدادت خطورة واسفرت عن انقلاب دموي كان الأول في وحشيته ودمويته في ٨ شباط ١٩٦٣ .. لنسمع نحن الصبيان آنذاك صوت الدكتورة نزيهة متهدجاً عبر الأثير من منبر مؤتمر النساء السوفيتيات في آذار ١٩٦٣ وهو يدعو الى التضامن مع الشعب العراقي ونسائه وشبابه في محنتهم والى السعي للخروج من تلك المحنة التي لاتخدم الاعداء .. حين التزمت اكبر العواصم واقربها الصمت

وحمايتها، ومن اجل السلم والديمقراطية. ويرى الكثيرون ممن عرفوها واحتكوا بها وناظروها، بأن حكمتها واحترامها للتقاليد وللعدادات الاجتماعية بصدق والتحرك ضمنها وبران جوانبها المشرقة في مواجهة اساليب التعمية ... لم تكن الا دلالة عميقة عن عمق ارتباطها بالعراق الذي تغنت به " وطننا اشتق اسمه من "العراق" المعبرة عن حقيقة كينونته " كما كانت تعبر.

وفيما تجسدت فيها القدرة على القيادة وعلى الربط و انتاج الأفكار الجديدة، ببحثها المتواصل وانكبابها على انواع الكتب والمصادر و عيون الآداب العالمية، للبحث عن معارف وقدرات ساعية لأيجاد ومناقشة واقتراح حلول لمآسي البلاد، فإنها كانت من طراز طاقم المفكرين الباحثين في انماط حذوهم لأنفسهم!

كانت تطوّر طروحاتها النسائية والديمقراطية والجماهيرية بتتالي انواع الأنظمة والظروف، في وقت عرف عنها انها لم تكن تحب الأضواء بأي ثمن، ولم تكن تطرح آرائها بصراحة لكل من طرق باب الأستشارة او النقاش .. وكان تأكيدها الأكبر على الأهمية الدائمة للأقرب من حقائق الواقع العراقي والأنطلاق منه والكف عن التحليق بدون ان تسميه.

ولابد من القول انها وفيما اصيبت بصدمة كبيرة بسبب النتائج التي افرزتها (الأشتركية القائمة)، وبسبب (انتصارات .. ثورات الشموع و الأخضر)، وتداعي الحركة العالمية باصطفافاتها القديمة .. وفيما يلمس المرء على ملامحها الحذر والمرارات كتعبير لم ولا يتجزأ عن حالات المرارات التي ارتسمت على وجوه العراقيين رجالاً ونساءً من كل الأطياف وتركت تاثيرات متنوعة عليهم، فإنها حافظت على رباطة جأشها وعلى جرأتها وعلى بحثها الدؤوب من جديد في محاولات جديدة لإعادة رسم الواقع بواقعه الجاري ..

وعلى تواصل لقاءاتنا ومناقشتنا وتقطعاتها ومواصلتها .. كان لقاءنا الأخير عام ٢٠٠٢ .. حيث بدأ الشلل بعده يتسرب اليها، وصارت حتى الأتصالات التلفونية لا تؤدّي بشئ، وحيث عاشت برعاية عائلة اخيها الفقيه المناضل " واثق الدليمي " وبالاهتمام الدائم لأبنة اخيها التي كانت ترى فيها صورتها في شبابها وفق تعبيرها .. " د. زحل الدليمي ".

كان اللقاء كثير التعبير والدلالة حيث عدنا فيه مناقشة الخطوط العريضة لما كان يصل متمرّداً من اخبار البلاد، ول مناقشة مايبدينا من مؤشرات لأوضاع اهلنا وناسنا .. كانت تمتاز رأيي في ما رامت الأعداد اليه لمؤتمر رابطة المرأة الذي كانت التحضيرات جارية لعقده .. بروح من المسؤولية السادة والحرص والامل بتعبيرها ب " انها لاتريد ان تفارق الحياة دون ان تساهم مع الجموع في صياغة جديد للحركة النسائية العراقية "!!.

فالى الخلود والمجد ياملعمة الأجيال، نامي قريرة العين ونساء العراق ماضيات في طريقهن الشاق بدعم كل الخريين .. وبمنظلماتهن كلها وفي القلب منها " رابطة المرأة العراقية " بقياداتها الأكثر شباباً وبالدماء الشابة الجديدة الواعدة!

نشر المقال عام ٢٠٠٧ في المدى

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

